المُنتقَى

في ذِكرِ بعضِ أوصافِ وشَمائل المصطفى ﷺ

مِن كتاب

قَبَسات نُورانِيّة

على ألفيّةِ السِّيرةِ النّبَوِيّةِ

وهو شرح مَزجِيٌّ لألفيّة الحافظ زين الدِّين العِراقيّ في السِّيرة

شرح وتحقيق وتعليق

الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائد والفِرَق والسِّيَر

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بابٌ فيه (ذِكرُ أَخلاقِهِ) العظِيمةِ (الشَّرِيفةِ ﷺ)

هذا بابٌ معقودٌ لبَيانِ بعضِ السِّماتِ الدّالّةِ على رَفِيعِ خِصالِه ﷺ في الكَرَمِ والشّجاعةِ والحِكمةِ في القَولِ والفِعل وفي التّواضُعِ والحَياءِ وحُسنِ عِشرَةِ الأهلِ والأصحابِ.

بِعثةُ رسولِ الله ﷺ لتَتمِيمِ مَكارِمِ الأخلاقِ

(**أَكْرِمْ بِهِ**) أي ما أكرَمَهُ على اللهِ إذْ (**خُلُقُهُ**) أي طَبعُهُ ومُرُوءَتُهُ ما دَلَّ عَليهِ (**القُرْءَانُ**) أي خُلُقُه جميعُ ما فُصِّل في القُرءانِ مِن مَكارم الأخلاقِ مِثلُ قولِهِ تعالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: 199]، وقَولِه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: 17]، وقولِه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة: 13].

وقال شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ المجتهد المجدّد الهرريُّ رضي الله عنه: "كُلُّ خصلة خيرٍ أمَرَ القُرءانُ بها فهيَ مِن خُلُقِ رَسولِ الله ﷺ".

(**فَهْوَ**) ﷺ يَمتَثِلُ ما جاءَ في القرءانِ، يأتَمِرُ بأوامِرِه وينتهي بِنواهِيهِ ويَرضى برِضاهُ وهو (**لَدَى غَضَبِه**) أي لِغَضَبِ اللهِ (**غَضْبَانُ**) أي يَغضَبُ للهِ.

وكان ﷺ (**يَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ**) اللهُ مِمّا أوحَى اللهُ بهِ إليهِ، و(**لَيْسَ يَغْضَبُ**) ﷺ (**لِـ**)ـهَوَى (**نَفْسِهِ**) كحالِ أكثرِ النّاسِ، وقد سبقَ الكلامُ عليهِ في الباب السابقِ، ولم يَكُن ﷺ يَغضبُ (**إِلَّا إِذَا**) كانتْ (**تُرْتَكَبُ**) أي تُنتَهَكُ (**مَحَارِمُ اللهِ**) أي يُعصَى اللهُ تعالَى ويُخالَفُ نَهيُه فيما حرَّمَ انتِهاكَه، فإذا انتُهِكَتْ محارِمُ اللهِ (**إِذًا فَيَنْتَقِمْ**) ﷺ للحَقِّ بالحَقِّ، فإنْ تُعُدِّيَ الحَقُّ (**فَأَحَدٌ لِذَاكَ**) أي لشِدّةِ انتِقامِهِ (**أَصْلًا لَمْ يَقُمْ**) وهو كلامٌ مُقتبَسٌ مِن

حديث عندَ الطّبرانيّ في «الكبير» والبيهقيّ في «الشُّعَب»: «**وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ**». فهو ﷺ وَقَّافٌ عند حدودِ القرءانِ والتأدُّبِ بآدابِه والاعتبارِ بأمثاله وقَصَصِه وتَدبيره وحُسنِ تِلاوَتِه.

وقد (**بَعَثَهُ**) اللهُ (**الرَّحمنُ بِالإِرْفَاقِ**) أي رِفقًا بهذِه الأُمّةِ (**كَيْمَا**) و"ما" زائدةٌ أيْ كَيْ (**يُتِمَّ**) أي يُكمِّلَ (**صَالِحَ الأَخْلَاقِ**) وهذا إشارةٌ إلى قولِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**» أي الفَضائِلَ والمَحاسِنَ. والأنبياءُ عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ كُلُّهم كانُوا مَوسُومِينَ بالأخلاقِ الرَّضِيّةِ والشمائل البَهِيّةِ لكنّ نَبِيَّنا محمَّدًا ﷺ قد بلَغَ أعلى الكَمالات البشريّة فلا أدبَ فوقَ أدَبِهِ ﷺ.

شَجاعَتُه في الحَرب وجُودُه ﷺ

وهو ﷺ (**أَشْجَعُهُمْ**) أي أقوَى النّاسِ قَلبًا وأكثرُهم جُرأةً لمُلاقاةِ العَدُوِّ (**فِي**) أيِّ (**مَوْطِنٍ**) أي مَكانٍ مِن أماكِنِ القتالِ، وهو ﷺ أثبَتُ النّاسِ في حالِ البَأْس حيثُ كان الشُّجاع مِنهُم يَلُوذُ بِجَانِبِه ﷺ عند الْتِحام الحَرب.

(**وَ**)إذا استَنجَدَهُ خائِفٌ عِندَ خَوفِهِ (**أَنْجَدَا**) بألِف الإطلاقِ أي أعانه النّبِيُّ ﷺ وأنجَدَهُ.

(**وَ**)هو ﷺ (**أَجْوَدُ النَّاسِ**) أي أكرَمُهم بالخَير (**بَنَانًا**) بفَتح الباءِ (**وَيَدًا**) والبَنانُ أصابِعُ الكَفِّ واحدتُها بَنانة، فإنّه ﷺ (**مَا سِيلَ**) أي ما سُئِل بمعنَى مَا طَلَبَ مِنهُ (**قَطُّ**) أي أبدًا أحَدٌ (**حَاجَةً**) مِن حوائِجِ الدُّنيا (**فَقَالَ: لَا**) معناه لم يَقُل للسائِلِ ذلكَ قَطُّ مَنعًا للعَطاء، فإذا سُئِلَ ﷺ فهو في ذلك على أحوالٍ: إمّا أعطَى وإمّا اعتَذَرَ ودَعا للسّائِلِ وإمّا وَعَد له فيما تَمَنَّى عمَلًا بِقَولِ اللهِ تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].

فهو ﷺ أكرَمُ النّاسِ (**وَلَيْسَ**) أي لَم يَكُن ﷺ (**يَأْوِي**) أي يعودُ (**مَنْزِلًا**) أي بيتًا مِن بُيوتِهِ فيَبيتَ فيهِ (**إِنْ**) كانَ (**فَضَلَا**) أي بَقِي عِندَهُ (**مِمَّا أَتَـ**)ـاهُ مِن مالِ الغنائِمِ ونَحوِها شيءٌ (**دِرْهمٌ أَوْ دِينَارٌ**) بل كانَ يَدفَعُها إلى مُستحِقّها (**حَتَّى تُرِيحَـ**)ـهُ (**مِنْهُمَا**) أي مِن هَمِّهما (**الأَقْدَارُ**) فلا يَبقَى عِندَه شيءٌ إلّا تَفرَّق على المُستحقّينَ.

صِدْقُه ﷺ وكَرَمُه في العِشْرةِ

وهو ﷺ (**أَصْدَقُ**) النّاسِ (**لَهْجَةً**) أي لِسانًا وكَلامًا (**وَأَوْفَا**)هُم (**ذِمَّةً**) أي عَهدًا وأمانةً و(**أَلْيَنُهُمْ**) أي أسهَلُهم وأحسَنُهم (**عَرِيكَةً**) أي مَعشَرًا (**فِي**) هذهِ (**الأُمَّةْ**) أي في أُمَّتِهِ ﷺ وهو ﷺ ألينُ عرِيكةً مِن سائِرِ الأفرادِ في سائِرِ الأُمَم.

وهو ﷺ (**أَكْرَمُهُمْ فِي عِشْرةٍ**) أي صُحبةٍ وخُلطةٍ، ولِكمالِ خُلُقِه وحُسن مُعاشَرَتِهِ (**لَا يَحْسِبُ**) أي لا يَظُنُّ (**جَلِيسُهُ**) أي مَن يُجالِسُهُ ﷺ (**أَنَّ**) أحَدًا (**سِوَاهُ**) أيْ سوَى هذا الجَليسِ (**أَقْرَبُ**) إلى النَّبِيِّ ﷺ مِنهُ وذلك لِمَا يَظهَرُ لهذا الجَليسِ مِن عَظِيم بِشْرِه ولُطفِهِ وحُسنِ مُعاشَرتِهِ ﷺ.

حَياؤُه وَتواضُعُه ﷺ

وكانَ ﷺ حَيِيًّا و(**حَيَاؤُهُ**) ممدوحٌ لا يكونُ إلّا بِحَقٍّ وهو حياءٌ (**يَرْبُو**) أي يزيدُ (**عَلَى**) حَياءِ الفَتاةِ (**العَذْراءِ**) الّتي لَم يَقرَبْها رَجُلٌ بِجماعٍ ونَحوِهِ المستَتِرةِ مِن شِدّةِ حيائِها (**فِي خِدْرِها**) أي في سِترِها الّذي يُجعَلُ لَها في أقصَى البَيتِ وذلك وصفٌ مُقرِّبٌ (**لِشِدَّةِ الحَيَاءِ**) الّذي يكونُ عليهِ ﷺ، ولكنّه مع ذلك لم يَمنعهُ الحياءُ مِن إقامة حدودِ الله وإنكارِ المُنكَرات.

وقد بلَغَ ﷺ الغايةَ في التّواضُعِ، ومِن أمثِلةِ ذلكَ (**نَظَرُهُ**) فإنّهُ (**لِلْأَرْضِ**) أي إلى جِهَتِها هوَ (**مِنهُ**) حالَ عدَمِ الكَلامِ (**أَكْثَرُ**) أو أطوَلُ زَمَنًا وأزيدُ وَأَمَدُّ مِن نَظَرِهِ (**إِلَى السَّمَاءِ**) وإلى الأجرامِ المُقابِلةِ لَها، فإنّه ﷺ دائِمُ حُضورِ القَلبِ خُشوعًا للهِ، مُنشَغِلُ البالِ بأمورِ الأُمّةِ وكُلِّ ما يَزيدُهُ كمالًا عندَ الله تعالَى.

ومِن علاماتِ تواضُعِه ﷺ أنّه إذا خاطَبَ غيرَه في وَجهِه فإنّه يَفعلُ ذلك وهو (**خَافِضٌ**) طَرْفَه (**إِذْ**) أي حِينَ (**يَنْظُرُ**) إلى المُكلّمِ، فلَم يَكُن ﷺ يُثَبّتُ بصَرَهُ في وَجهِ مُكلّمِه مِن شِدّة حيائِهِ ﷺ، وبهذا يكونُ الأمرُ أسهلَ على مُخاطبِه ﷺ لا سيّما إذا كانَ لهذا المُخاطبِ حاجةٌ عِندَ النّبيّ ﷺ، فإنّه ﷺ مِن شِدّة هَيبتِه وبَهائِه وجَمالِه لَم يَكُن بعضُ الصّحابةُ يَقْدِر على أنْ يُدِيمَ النَّظَر في وَجْهِه ﷺ.

وهو ﷺ (**أَكْثَرُهُمْ**) أي أكثرُ النّاسِ (**تَوَاضُعًا**)، وكان ﷺ (**يُجِيْبُ دَاعِيَهُ**) أي مَن يَدعوهُ إلى مائدةٍ أو غيرِهَا، (**بَعِيدٌ**) الدّاعي (**أَوْ قَرِيبٌ**) مِنهُ، وسواءٌ كانتِ الدّعوةُ (**مِنْ عَبْدٍ**) مملوكٍ مأذونٍ لهُ بذلِكَ أو مُعتَقٍ، (**أَوْ**) مِن (**حُرٍّ**)، أوْ كانتْ مِن (**فَقِيرٍ**) أوْ مِسكِينٍ (**أَوْ غَنِيٍّ**) أو شريفِ النَّسَبِ أو دَنِيئِه، وذلك مِن تَواضُعِه المجبولِ عليهِ ﷺ، كيفَ لا وقد كانتِ العِنايةُ الرّبّانِيّةُ تُحيطُ به ﷺ وقال لَهُ رَبُّه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

(**وَ**)هو ﷺ (**أَرْحَمُ**) أي أكثرُ (**النَّاسِ**) رَحمةً (**بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَ**)بِكُلِّ (**طَائِفٍ**) أي نازِلٍ بهِ ﷺ حال كونِ النّازلِ بهِ (**يَعْرُوهُ**) أي يَقصِدُهُ ﷺ لحاجةٍ، فيَدخلُ في ذلكَ ما لا يعقِلُ كالبَهائم، (**حَتَّى**) إنّهُ ﷺ كانتِ (**الهِرَّةُ**) تَمُرُّ به فـ(**ـيُصْغِيْ**) أي يُدْنِي (**لَهَا الإِنَاءَ**) وفيهِ الماءُ فتَشرَبُ، وقد فعَلَ ذلكَ ﷺ (**غَيْرَ مَرَّةْ**) أي لم يَقتصِر على فِعلِه مَرّةً واحِدةً بل رُوِي

---

(1) وهو دليلٌ لأهل السُّنةِ على جواز التأويل؛ فإنّ مانِعَ التأويلِ مِن مُجسِّمة ومُشبِّهة يَلزَمُه حَملُ النصّ على ظاهِرِه وإثباتُ جَناحٍ حقيقيّ له ﷺ، ولا قائلَ به.

أنّه كانَ يَفعَلُ ذلك مع كُلِّ هِرّةٍ أتَتْهُ ثمّ كان يتوضّأ بما بَقِي مِن المَاءِ في الإناءِ ويقولُ: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، هِيَ مِنَ الطَّوَّافِينَ**» أوِ «**الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُم**».

عِفَّتُه وصِفةُ بيعتِه ﷺ النِّساءَ

و(**كَانَ**) رسولُ اللهِ ﷺ (**أَعَفَّ النَّاسِ**) أي أكثرَهم عِفّةً ونَزاهةً عمّا لا يليق بِه ﷺ، فالعَفيفُ هو مَن يُباشِرُ الأمورَ على وَفْق الشَّرع والمروءةِ، ومِن عِفَّتِهِ ﷺ أنّهُ (**لَيْسَ يُمْسِكُ**) أو يَمَسُّ بلا حائِلٍ (**أَيْدِيَ مَنْ**) أي مِن النِّسوةِ اللّاتي (**لَيْسَ لَهُنَّ يَمْلِكُ**) مِلكَ يَمِينٍ أو لَسْنَ مِن زَوجاتِهِ أو مَحارِمِهِ، فإنّه ﷺ كان (**يُبَايِعُ النِّسَاءَ**) مِمّن سِوَى مَحارِمِه وإمائِهِ بِلا مَسٍّ لَهُنَّ في البَيعاتِ الّتي بايعهُنَّ بها كبيعَتِه لَهُنَّ ﷺ يومَ فَتحِ مكّةَ على الصَّفا بعدَ مُبايعَتِه الرِّجالَ، فـ(**لَا يُصَافِحُ**) بيَدِه (**أَيْدِيَهُنَّ بَلْ**) هوَ (**كَلَامٌ صَالِحُ**) يقولُهُ لَهُنَّ ﷺ عندَ المبايَعةِ.

وقد كانتَ مُبايَعتُه ﷺ للنّساء أن يأخُذَ علَيهِنّ العَهدَ والميثاقَ، فإذا أقرَرْنَ بأَلسِنَتِهنّ قال: «**قَدْ بَايَعْتُكُنَّ**».

إكرامُه ﷺ لأصحابِه الكِرامِ

وهو ﷺ (**أَشَدُّهُمْ**) أي أكثرُ النّاسِ (**لِصَحبِهِ**) أي أصحابِه (**إِكْرَامًا**) على الإطلاقِ وليسَ في أمرِ الإطعامِ فقط، وصُوَرُ إكرامِه لأصحابِه ﷺ كثيرةٌ جِدًّا لا يُحصِيها إلّا اللهُ عزَّ وجلَّ، فمِن ذلكَ أنّهُ (**لَيْسَ**) أي لَم يَكُن ﷺ (**يَمُدُّ رِجْلَهُ**) أمامَ جُلَسائِهِ مِن الصّحابةِ (**احْتِرَامًا**) لَهُم إذا كانَ (**بَيْنَهُمُ**) ولم تَكُن رُكبتاهُ الشّريفتانِ ﷺ تتقدَّمانِ رُكبةَ جَلِيسه، كما أنّه كانَ ﷺ يُوَسِّعُ لَهُم إذا ضاقَ بِهِم المكانُ، وكان يُرشِدُ أصحابَه في مِثلِ ذلكَ.

(**وَلَمْ يَكُنْ**) ﷺ (**يُقَدِّمُ**) في مَجلِسٍ (**رُكْبَتَهُ**) الشّريفةَ (**عَلَى**) رُكبةِ (**الجَلِيسِ**) عِندَهُ مِن أصحابِهِ بل (**يُكْرِمُ**) جليسَهُ بأنْ لا يُضيّقَ المكانَ عليهِ شفَقةً وتواضُعًا مِنهُ ﷺ.

(**فَمَنْ**) كانَ (**بَدِيهَةً**) أي فجأةً وبَغْتةً (**رَءَاهُ**) ﷺ (**هَابَهُ**) أي تَهَيَّبَ لرؤيتِهِ ﷺ ووقَعت في قلبِه الهَيبةُ مِنهُ ﷺ وذلك لِمَا له مِن الوَقارِ والهيبةِ (**طَبْعًا**) أي بِطَبِيعَتِه وسَجِيَّتِهِ، (**وَمَنْ خَالَطَهُ**) مَعرِفةً عَرَف ما كان علَيه مِن حُسن العِشرة ﷺ والبَشاشةِ وكرَمِ الخِصال وحُسنِ الفعالِ فـ(**أَحَبَّهُ**) حُبًّا بليغًا لكمالِ أخلاقِهِ وعِظَمِ قَدْرِه ﷺ.

خِدمتُه ﷺ نَفْسَه وأهلَه وغَيرَهُم

ولم يَكُن ﷺ يأْنَفُ ويَستنْكِفُ أنْ يُماشيَ الفُقراءَ والعبيدَ بل (**يَمْشِي مَعَ الْمِسْكِينِ**) والفقيرِ والعبيدِ فيَقضِي لهُم حاجَاتِهم (**وَ**)كان ﷺ يَمشِي كذلكَ مع (**الأَرْمَلَةِ**) وهيَ مَن ماتَ زَوجُها، وكانتِ الأرمَلةُ تأتِي إليهِ فتَطلُبُه (**فِي حَاجَةٍ**) لَها فيَذهَبُ ﷺ ليَقضِيَها لَها (**مِنْ غَيْرِ مَا أَنَفَةٍ**) مِنهُ أي مِن غَيرِ ترفُّعٍ منهُ واستِكبارٍ.

وكانَ ﷺ يَخدُمُ نَفسَهُ فـ(**يَخْصِفُ**) أي يَخرُز ويَرقَع (**نَعلَهُ**) بِيَدِهِ ﷺ وذلِك بِضَمّ طاقةٍ مِنها على الأخرَى، وأصلُ الخَصْفِ الضّمُّ والجَمعُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي يُطَبّقانِ ورقةً فوقَ ورَقةٍ على بدَنِهما.

و(**يَخِيطُ**) بفَتحِ الياءِ أي يَرقَعُ (**ثَوْبَهُ**) بجَعْل قِطعةِ قُماشٍ في الموضعِ الّذي انخَرَق مِنه يَسُدُّه بِها.

وكانَ ﷺ (**يَحْلُبُ**) بضمّ اللامِ ويجوزُ كَسرُها (**شَاتَهُ**) بِيَدِهِ أيضًا ولا يَأنَفُ ذَلِكَ (**وَلَنْ يَعِيبَهُ**) حينَ يَفعَلهُ بنَفسِه ﷺ.

وكانَ ﷺ (**يَخْدُمُ**) بضمّ الدالِ وتُكسَرُ أي يقومُ بالخِدمةِ (**فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ**) أَيْ يَشتغِلُ في مصالِحِ مَن يَعولُهُم.

(**كَمَا**) كانَ ﷺ (**يَقْطَعُ بِالسِّكِّينِ**) معَ أهلِهِ أو وحدَهُ (**لَحْمًا قُدِّمَا**) إلَيهِ، وفي اشتغالِهِ ﷺ في مَهنةِ الأهل والنَّفسِ إرشادٌ لغيرِهِ إلى التّواضُع وتركِ التَّكبُّر، فهو ﷺ مُشَرَّفٌ بالنُّبُوّة والرِّسالةِ ومُكَرَّمٌ بالمُعجزاتِ ومع ذلك فهو يخدِمُ أهلَه.

إردافُه ﷺ أصحابَه على الدّابّةِ خَلفَه

وكانَ ﷺ (**يُرْدِفُ**) أي يُركِبُ (**خَلْفَهُ**) عَبدَهُ أو خادِمَه أو غَيرَهُما (**عَلَى الحِمَارِ**) وغَيرِهِ مِن ناقةٍ وبَغلةٍ ونَحوِهما حالَ كونِه راكِبًا (**عَلَى إِكَافٍ**) والإكافُ للحِمارِ كمثلِ السَّرْجِ للفَرَس، وكان ركوبُه ﷺ على الحِمارِ مِن (**غَيْرَ**) أنفةٍ أو حالِ (**ذِي اسْتِكبَارٍ**) أي تَكَبُّرٍ.

وقَد صَحَّ أنّه ﷺ ركِبَ الدّابّةَ في بعضِ الأحيانِ مِن غَيرِ إكافٍ وهو دليلُ تواضُعِه ﷺ، وقد أركَبَ خلفَهُ مِن أصحابِه أربعينَ ونَيِّفًا مُنفَرِدِينَ كأبي بكرٍ الصِّديقِ وعُثمانَ ذِي النُّورَين وعَلِيّ الكَرَّارِ وعَبدِ الله بنِ جَعفرٍ وزَيدٍ وأُسامةَ والفَضلِ وغَيرِهم.

وكانَ ﷺ مِن شِدّةِ تواضُعِه (**يَمْشِيْ**) في بعضِ الأحيانِ (**بِلَا نَعْلٍ**) أي حذاءٍ وهو ما تُوقَى به القدَمُ مِن الأرضِ (**وَ**)كذلك كان ﷺ يمشي في بعضِ الأحيانِ بـ(**لَا خُفٍّ**) وهو ما يَستُرُ القدَمَ معَ الكَعبِ مِن شعَرٍ أو لِبدٍ أو جِلدٍ ونَحوِها، وكان حالُه ذلكَ في مَشيِهِ (**إِلَى عِيَادَةِ**) أي زِيارةِ (**الْمَرِيضِ**) مِن صَحبِه و(**حَوْلَهُ الْمَلَا**) أي الملأُ مِن أصحابِهِ، وذلك تواضُعًا مِنهُ ﷺ وطلبًا للزِّيادةِ في الأجرِ.

ومِن رَحمَتِه بالمَرضى ﷺ ما ذكرَه أنسٌ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ دخلَ على مريضٍ يَعودُه فقالَ له: «**أَتَشْتَهِي**[1] **شَيْئًا؟ أَتَشْتَهِي كَعْكًا**[2]؟»، فقال المريضُ: نَعَم، فطَلَبوا له ذلكَ، والحديثُ رواهُ ابن ماجهْ في «السُّنَن» وأبو يَعلَى في «المُسنَد».

وكانَ مِن شأنِه ﷺ أنّه إذا دخَل على مريضٍ يعودُه قال له مُخفِّفًا عنه ما ألَمَّ بِه: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» رواهُ البُخاريُّ.

خُلقُه الكَريمُ ﷺ معَ جُلَسائِه

وكانَ ﷺ (**يُجَالِسُ الفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَا**) أي يَجلِسُ معَهُما جَبرًا لخواطِرِهما ومُؤانَسةً لهما وإشفاقًا عليهِما، وكانَ ﷺ يَسألُ عَن حالِ الفقراءِ والأرامِل والأيتامِ ويتفقَّدُهم.

(**وَ**)كانَ ﷺ (**يُكْرِمُ**) أهلَ الفضلِ و(**الكِرَامَ**) مِنَ القَومِ (**إِذْ يَأْتُونَا**) إليهِ، ورُبَّما بَسَط ﷺ رِداءَهُ لبَعضِ زائِريهِ تواضُعًا لَهُم وإكرامًا.

و(**لَيْسَ**) مِن شأنِهِ ﷺ أنْ يكونَ (**مُوَاجِهًا**) أحدًا (**بِشَيءٍ يَكْرَهُهُ**) إلّا أنْ تقتضِي المصلحةُ فِعلَ ذلكَ لا سيّما إذا كانَ فاعِلُ ذلكَ (**جَلِيسَهُ**) فلا يُخاطِبُهُ بمكروهٍ (**بَلْ**) كانَ (**بِالرِّضَا**) أي الكلامِ الطّيّبِ اللّيّنِ (**يُوَاجِهُهُ**) أي يَبدأُهُ بتعليمٍ أو إرشادٍ أو نُصحٍ لِمَا بدَرَ مِن مُواجِهِه، فيَكونُ ذلكَ أدعَى للقَبولِ.

وكانَ ﷺ (**يَمْزَحُ**) معَ أصحابِه تأنيسًا لهم وتأليفًا وتخفيفًا عليهم، وهو في مُزاحِهِ كسائرِ أوقاتِهِ صادِقٌ (**لَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا**) وشأنُهُ في ذلك كشأنِ جميع الأنبياءِ، فهُم مُنزَّهون عن الكَذِب في سائِر الأحوالِ، وقد أعطاهُم الله مِن الفِطنةِ والذكاء والجُرأةِ ما يستطيعونَ

---

(1) أي هلْ تُحِبُّ أنْ تأكُلَ.

(2) هو خُبزٌ يابِسٌ، فارسيٌّ مُعرَّبٌ.

دَفعَ الظُّلمِ بهِ عن أنفُسِهم وعَن غَيرِهِم مِن دُونِ أن يَحصُلَ مِنهُم كذِبٌ، فهُم مُنزَّهون عن ذلك قبلَ النُّبُوّةِ وبَعدَها.

وكانَ ﷺ (**يَجْلِسُ فِي الأَكْلِ مَعَ**) العَبيدِ (**الأَرِقَّا**)ءِ حيثُ يجلسون فلا يَترفَّعُ عليهم بل كانَ ﷺ لا يأْكُلُ مُتَّكِئًا ويَقُولُ: «**ءاكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ**[1] **وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ**» أيْ من غَيرِ سُفرةٍ وخِوَانٍ جالِسًا على الأرضِ لا على هيئةِ جُلوسِ المُلوكِ مِن أهلِ الدُّنيا والجَبَّارِين المُتكَبِّرين مِن التَّرَبُّع والتَّمَدُّد والاتِّكاء مع رَفعِ الرَّأسِ وشُموخِ الأَنْفِ وعَدَمِ الالْتِفات إلى المساكِينِ والاحتِجابِ عن المُحتاجِين، بل هو ﷺ سَيِّدُ المتواضِعِينَ لم يأكل على خِوانٍ قَطُّ.

وكانَ ﷺ (**يَأْتِي إِلَى بَسَاتِنِ**) أي بَساتِينِ وحدائِقِ (**الإِخْوَانِ**) أصحابِه الأنصارِ قاصِدًا بذهابِهِ إليهم أنَّهُ (**يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ الإِتْيَانِ**) ﷺ لا بقصدِ التّنَزُّهِ الّذي لا خيرَ فيه.

وهو ﷺ (**نَبِيُّ الرَّحْمَةْ**) وهو رحمةٌ مُهداةٌ إلى الخَلْقِ، فمَن اهتدَى بهَديِه ﷺ فقَد أفلَح وفازَ، ومَن ضَلَّ عَن هَديِه فقد خابَ وخَسِرَ.

لَم يَكُنْ ﷺ فَحَّاشًا ولا لَعَّانًا

و(**لَمْ يَكُـ**)ـنْ رسولُ اللهِ ﷺ فاحِشًا ولا (**فَحَّاشًا**) ولا مُتفحِّشا، أمّا الفاحِشُ فهو ذو الفُحشِ في كلامِهِ بَذيءُ اللِّسانِ، والفُحشُ القبيحُ مِن القولِ والفِعلِ[2]، والفَحّاشُ كثيرُ الفُحْشِ، وأمّا المتَفَحِّش الّذي يَتكلَّفُ سَبّ النّاسِ ويَفْحُش علَيهِم بلِسانِه[3].

---

(1) أي الإنسانُ المتواضِعُ ولا أجلِس كهيئة الملوك.

(2) المحكَم والمحيط الأعظم، أبو الحسَن بن سِيدَه، (114/3).

(3) تهذيب اللُّغة، أبو منصور الأزهري، (112/4).

(وَلَا) كان (لَعَّانًا) أي مُكثِرًا للَّعْنِ على مَن يَستحِقُّهُ، واللَّعنُ هو الدُّعاءُ بِالطّردِ مِنَ الرّحمةِ (وَلَا) كانَ (بَخِيلًا) في الإنفاقِ بما يَنبغي بل هو ﷺ أجودُ النّاس بالخير أي بِكُلِّ ما يَنفَعُ النّاسَ في دُنياهم وأُخراهُم مِن نصيحةٍ وإرشادٍ ودُعاءٍ لَهُم وتوجيهٍ وإنفاقٍ عليهم وبَذلٍ لَهُم، فلَم يَكُن فيهِ شيءٌ مِن ذميمِ الخِصالِ (لَا) وهذه النّافيةُ في النَّظم للتّأكيدِ.

أمّا اللّعنُ والسِّبابُ بغيرِ حَقٍّ فإنّه ﷺ مُنزّهٌ عنه.

جُرأَتُه وإقدامُه ﷺ

ولم يَكُن النّبيُّ ﷺ هَيوبًا (وَلَا جَبَانًا) بل كان أشجَعَ النّاسِ، وقَد جاءَ في وَصفِ شجاعَتِه ﷺ أحاديثُ كثيرةٌ جِدًّا مِنها ما رواهُ الشَّيخانِ أنّ رجُلًا قال للبَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنه: أفَرَرتُم عَن رَسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ حُنَينٍ؟ قال: لَكِنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لَم يَفِرَّ، إنَّ هَوازِنَ كانوا قَومًا رُماةً، وَإنّا لَمّا لَقِيناهُم حَمَلْنا عَلَيهِم فانهَزَموا، فَأقبَلَ المُسلِمونَ عَلَى الغَنائِمِ واستَقبَلونا بِالسِّهامِ، فَأمّا رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَلَم يَفِرَّ، فَلَقَد رَأيتُهُ وَإنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيضاءِ وَإنَّ أبا سُفيانَ[1] ءَاخِذٌ بِلِجامِها[2] والنَّبِيُّ ﷺ يَقولُ: «**أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ**[3]، **أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ**»[4].

---

(1) وكان قد أسلَم.

(2) قال الكَرامانيُّ «الكواكِب الدَّراري» (144/12): "وكان قد أخذَ بلِجام بَغْلَتِه ليَكُفَّها عن إسراعِ التّقدُّم إلى العَدُوّ لا لاعتِقادِه أنّ رَسولَ الله ﷺ يَنْهَزِمُ، حاشاهُ مِن ذلكَ".

(3) قال القَسطلّانيُّ «إرشاد السّاري» (77/5): "أي أنا النَّبِيُّ والنَّبِيُّ لا يَكذِبُ فلَستُ بكاذِبٍ فيما أقولُ حتّى أنهَزِمَ، وأنا مُتيَقِّنٌ أنَّ الّذِي وَعَدَنِي اللهُ بِه مِنَ النَّصْر حَقٌّ".

(4) قال ابن الدَّماميِنيُّ «مصابيح الجامع» (265/6): كان بَعضُهم لا يَقِفُ على قوله: «**لَا كَذِبْ**» بالسُّكون بل بفَتحةٍ ليَخرُجَ عن وَزْنِ الشِّعر، وهذا تَغييرٌ للرِّوايةِ الثّابتةِ بمُجرَّد خيالٍ يَقُومُ في النَّفْسِ، وقد قَدَّمْنا ما يَدفَعُ كونَ هذا شِعرًا فلا حاجةَ إلى إخراجِ الكلامِ عمّا هو عليه في الرِّواية".

اختِيارُه ﷺ أيسَرَ الأُمورِ ما لَم يَكُنْ مأثَمًا

ومِن حِكمَتِه ﷺ أنّهُ كانَ (**يَخْتَارُ أَيْسَرَ**) أي أسهَلَ (**الأُمُورِ**) أيْ (**إِذْ مَا خُيِّرَ**) بَينَ أمرَينِ وذلكَ تيسيرًا على أُمَّتِهِ ﷺ وإشفاقًا عليهِم (**إِلَّا أَنْ يَكُونَ**) الأيسرُ مِنَ الأمرَينِ (**إِثْمًا**) فإنّه يكونُ أبعدَ النّاسِ مِنَ الإثمِ تنزُّهًا واجتِنابًا.

ضَحِكُه وتبَسُّمُه ﷺ

ومِن كَرِيمِ شِيمَتِه وعُلوِّ أدبِهِ وكَمالِ هَيبَتِه ﷺ أنّهُ (**لَمْ يُرَ**) قَطُّ (**ضَاحِكًا**) يُقَهقِهُ (**بِمِلْءِ فِيهِ**) بصَوتٍ كما يضحكُ عامّةُ النّاسِ قَهقهةً بل (**ضَحِكُهُ**) ﷺ (**تَبَسُّمٌ**) جَمِيلٌ (**يُبْدِيهِ**) أي يُظهِرُهُ انفِراجُ الشَّفتَينِ الشَّريفتَينِ الكاشفتَينِ عَن الثّنايا لا ضَحِكٌ على سَبِيل المبالَغةِ كالّذي يَصدُرُ معهُ مِنَ الضّاحِكِ صَوتٌ مُرتفِعٌ أو تظهَرُ معَهُ لَهَاةُ الضّاحِك.

مُباسطَتُه ﷺ أصحابَه وجُلسَاءَه وعدَمُ انتِهارِه خَدَمَه

وكان ﷺ (**يَعْجَبُ**) أي يتعَجَّبُ (**مِمَّا يَعْجَبُ الجَلِيسُ**) أي يتعَجَّبُ (**مِنْهُ**) تطييبًا لخواطِرِهِم ومؤانَسةً وجبرًا لقلوبِهم.

وكان ﷺ طَلْقَ الوَجهِ مَليحَ البِشْرِ، (**فَمَا**) كان يُرَى (**بِوَجْهِهِ**) أي في وَجهِه (**عُبُوسٌ**) في زائرٍ لَهُ أو وافِدٍ عليهِ بل ويَصبِرُ على جَفْوة الغريبِ في مَنطِقِهِ ومَسألَتِهِ.

وكان (**أَصْحَابُهُ**) ﷺ (**إِذْ يَتَنَاشَدُونَا**) فيما (**بَيْنَهُمُ**) أي يَطلُب بَعضُهم مِن بَعضٍ أنْ يُنشِد (**الأَشْعَارَ**) الجائِزةَ، والإنشادُ هو أن يَقرأَ المرءُ الشّعرَ، لِنفسِه كانَ أو لغَيره، وكانوا (**يَضْحَكُونَا**) إذْ يَتحادثونَ (**وَيَذْكُرُونَ**) أمورًا حصَلَتْ (**جَاهِلِيَّةً**) أي في فَترَتِها (**فَمَا**) كانَ ﷺ يَزجُرُهم ولا يَمنَعُهُم عمّا لا إثمَ فيهِ مِن ذلكَ بل كان لا (**يَزِيدُ**) على (**أَنْ يَشْرَكَهُمْ**) في المَجلِس سُكوتًا و(**تَبَسُّمَا**) وهذا إقرارٌ مِنهُ ﷺ.

عَدلُ النَّبيّ ﷺ وحُكمُه بالحَقّ

ومِن شمائلِهِ ﷺ أنّه (**قَدْ وَسِعَ**) أي شَمِلَ (**النَّاسَ بَبَسْطِ**) أي بِبِشرِ (**الخُلْقِ**) وطلاقةِ الوَجهِ وكرَمِ الأخلاقِ (**فَهُمْ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِي الحَقّ**) إذْ هو ﷺ أعدَلُ النّاسِ ولا يجوزُ عليهِ أنْ يَظلِمَ صاحِبَ حَقٍّ مِن أجلِ صِلةِ قرابةٍ أو غيرِ ذلكِ.

ومِن أدَلِّ الدّليلِ على كرَمِ أخلاقِه ﷺ وسُمُوِّ مُعاملَتِه أنّه ﷺ (**مَا انْتَهَرَ**) أي لَم يَزجُرِ (**الخَادِمَ**) مِن خَدَمِه أي لم يُعنِّفْ أحَدًا مِنهُم (**قَطُّ**) لتقصيرِه في الخِدمة أو (**فِيمَا يَأْتِيْهِ**) الخادِمُ مِن صُنعٍ ما لَم يَكُنِ المأتِيُّ بِهِ إثمًا (**أَوْ**) أي ولم يَكُنْ يَعذِلُ أحدَهُم مُنتهِرًا له ثُمّ (**يَتْرُكُهُ**) أي الخادِمَ (**مَلُوْمًا**) فيَحزَنُ الخادِمُ لذلكَ، بل كانَ يُبدِي لخُدّامِهِ الرّأفةَ ويُعامِلُهُم بالتّواضُعِ، حتّى إنّه ﷺ مِن شِدّة حيائِهِ وبَسْطِ العِشرةِ لخُدّامِه لا يقولُ لأحَدٍ مِنهُم (**فِي صُنْعِهِ**) أي فِعلِهِ (**لِلشَّيءِ لِمْ صَنَعْتَهُ**) كذا أو على هذا الوَجهِ (**وَ**)لَا يقولُ لَهُ في (**تَرْكِهِ لِلشَّيءِ لِمْ تَرَكْتَهُ**) يَا فُلانُ، وهذا عَينُ ما قالَهُ أنَسٌ رضيَ الله عنهُ: «لَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَأَنَا غُلامٌ لَيْسَ كُلُّ أَمْرٍ كَمَا يَشْتَهِي صَاحِبِي أَنْ يَكُونَ[1]، فوَاللَّهِ مَا قَالَ لِيَ أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَلَا لِشَيءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا» رواهُ مُسلِمٌ وأحمدُ وأبو داودَ.

وكانَ ﷺ بدَلَ انتِهارِ الخدَمَةِ يُخفِّفُ عنهُم و(**يَقُولُ لَوْ قُدِّرَ شَيءٌ**) أن يكونَ (**كَانَا**) ولا يَرُدُّ ذلكَ شيءٌ.

---

(1) أي لِصِغَر سِنّه وعَدَمِ الخُبرةِ الواسعةِ لم يَكُن يأتي بالمأمورِ بِهِ على الوَجهِ الأتمّ كما يُطلَبُ منه.

هَيئتهُ في الجُلوسِ ﷺ

(وَ)كانَ ﷺ يَتّخِذُ (**فِي الجُلُوسِ**) هيئةَ المُتواضعِينَ - وهو ﷺ سيّدُهُم - فـ(**يَحْتَبِيْ**) في جلوسِهِ (**تَوَاضُعًا**) للهِ تعالَى، والاحتِباءُ هو الجلوسُ على الأَلْيَينِ مع ضمِّ الفَخِذَينِ إلى البَطنِ وجَمعِ السّاقَينِ مع الظّهرِ والبطنِ باليَدَينِ عِوضًا عنِ الثّوبِ والحِزامِ ونَحوِهما، والاسم الحُبْوة بضَمّ الحاء وكَسرِها[1].

ولَم يَكُن ﷺ مُلازِمًا الاحتِباءَ في كُلِّ أحيانِهِ إذا جلسَ، بل مَرَّةً يحتَبِي (**وَمَرَّةً**) يجلِسُ (**كَالقُرْفُصَاءِ**) بضم القاف والفاء وروي بكسرهما، وكان ﷺ يَجلِسُ مُحتَبِيًا مُتواضِعًا للهِ (**خَاضِعًا**) لَهُ عزّ وجلّ.

صُوَرٌ مِن حُسنِ مُعامَلتِه ﷺ لأصحابِه

وكان (**مَجْلِسُهُ**) ﷺ مع أصحابِهِ وغيرِهِم (**حِلْمٌ**) بكسر الحاء أي وقارٌ، بل هو ﷺ أوقَرُ النّاسِ وأكثرُهم حِلمًا وأعظَمُهم تحَمُّلًا، فيُزيّنُ مَجلِسَه حِلمٌ (**وَصَبْرٌ**) بادِيانِ عليهِ ﷺ (**وَ**) يَزيدُ مجلِسَهُ أُنسًا (**حَيَا**)ؤُه ﷺ.

وكان ﷺ (**يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**) أي يُبادِرُ ويَسبِقُ (**مَنْ قَدْ لَقِيَا**) أي لَقِيَهُ مِن أصحابِهِ ويبْدَؤُهم بالمُصافحة، وإذا جاءَهُ وَفدٌ قال: «**مَرحبًا**».

(وَ)مِن كَرمِ أخلاقِهِ وبَسْطِ عِشرَتِهِ ﷺ أنّه كانَ يُكرِمُ مَن يَدخُل عليه فـ(**يُؤْثِرُ**) أي يُقَدِّم ويُفرِدُ (**الدَّاخِلَ**) عليهِ على نَفسِهِ (**بِـ**)ـالجُلوسِ على (**الوِسَادَةْ**) والاعتمادِ علَيها حتّى وإنْ كانتْ مفروشةً تحتَه ﷺ، بل ويَعزِمُ أي يُؤَكِّدُ على الداخِلِ في الجلوسِ عليها لِدَفعِ الوَحْشة عنهُ إنِ امتَنَع الداخلُ مِنَ الجُلوسِ علَيها تأدُّبا أمامَ رسولِ الله ﷺ.

---

(1) المجموع شرح المهذَّب، محيي الدّين النوويّ، (176/3).

(أَوْ) أي وكان ﷺ (يَبْسُطُ) في بَعضِ الأحيانِ (الثَّوْبَ لَهُ) أي ثوبَ نَفْسِهِ لحاضِرٍ عِندَه أو داخِلٍ عليهِ (زِيَادَة) في الإكرامِ لهُ.

وهو ﷺ معصومٌ مَصونٌ (لَيْسَ يَقُولُ فِي) حالَةِ (الرِّضَا وَ)حالَةِ (الغَضَبِ قَطْعًا) شيئًا (سِوَى) قَولِ (الحَقِّ) ولا يأمُرُ إلّا بما يوافقُ الشّرعَ (فَـ)ـكلامُهُ فصلٌ لا يَخرُجُ عنِ الحَقِّ فـ(ـخُذْ) الحقَّ عنـ(ـهُ واكْتُب) أي وقيّدْ تعليماته وإرشاداتِه وسُنَنه واعمَلْ بها، فإنّ الله يقولُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7].

عِظَتُه النّاسَ وإنذارُه إيّاهُم ﷺ

وكان ﷺ (يَعِظُ) النّاس (بِالجِدِّ) لا يَشوبُ وعظَهُ هَزلٌ (إِذَا مَا ذَكَّرَا) أي ذكَّرَهُم بما فيه مَصلحةُ دِينهِم ودُنياهُم بل يهتمُّ بذلك غايةَ الاهتِمامِ ويُلقِي الوعظَ فيهِم وعليهِ هيئةُ الواعِظِ المُحَذِّرِ (كَأَنَّهُ مُنْذِرُ) قَومٍ مِن دُنُوِّ (جَيْشٍ) عظيمٍ (حَذَّرَا) مِنهُم، وإنّ مِن شأنِ مَن يقومُ بذلكَ أنْ يَشتَدَّ غَضَبُه خوفًا على قَومِه ويَرفَعَ صَوتَه لِيُبَلِّغَهُم.

ظُهورُ أماراتِ السُّرورِ في وَجهِهِ ﷺ

(وَ)كان ﷺ (يَسْتَنِيرُ وَجْهُهُ) أي يُضيءُ سُرورًا (إِنْ سُرَّا) بشيءٍ حتى إنّكَ إذا رأيتَهُ (تَحَالُهُ) أي تَحسَبُهُ (مِنَ السُّرُورِ بَدْرَا) تامَّ الإنارة.

جَمِيلُ صَفْحِه ﷺ وعَفْوِه

(وَ)مِن عَظيمِ أخلاقِهِ وحُسنِ شَمائِلِه ﷺ أنّه (لَيْسَ يَجْزِيْ) أيْ يُقابِلُ مَن يُسيءُ إليهِ الإساءةَ (سَيِّئًا بِمِثْلِهِ) مُكافأةً وانتِقامًا و(لَكِنْ) يُقابِلُ ذلك (بِعَفْوٍ) منهُ ﷺ مع قُدرَتِه على الانتقامِ مِنهُ (وَبِـ)ـجَمِيلِ (صَفْحٍ) مِنهُ ﷺ تفضُّلًا دالًّا على (فَضْلِهِ) وسُمُوِّ شِيَمِه عليهِ السَّلام.

حُبُّه ﷺ للفَأْلِ وكراهِيتُه للطِّيَرَةِ

و(كَانَ) رَسُولُ الله ﷺ (**يُحِبُّ الفَأْلَ**) الحسَنَ (**مِمَّنْ ذَكَرَهْ**)، والفَأْلُ لفظٌ يُستَعملُ فيما يَسُرُّ وفيما يَسُوءُ، والغالِبُ استِعمالُهُ في السُّرور خِلافًا للطِّيَرةِ.

(**وَكَانَ**) ﷺ (**يَكْرَهُ**) أي لا يُحِبُّ (**اتِّبَاعَ الطِّيَرَهْ**) وهي التّشاؤُمُ المُتعارَفُ عليهِ في الجاهِلِيّةِ، وذَلِك أنّ العَرَب في الجاهليّة كانتْ تُنَفِّر الطّير وتَزجُرُها فإذا مَرَّتِ الطَّيرُ مِن اليَمِين إلى اليَسار خَرَجَ أحَدُهم في حاجَتِه وإلا تشاءَم ولَم يَخرُج، حتّى إنّهم صارُوا يَتَطيَّرُون بِغَير الطُّيور أيضًا كالظِّباء.

بابٌ فيهِ (**ذِكرُ خُلُقِه**) وجَمِيلِ صِفاتِه (ﷺ **في الطَّعامِ والشَّرابِ**)

(**وَ**)مِن جَمِيل صِفاتِهِ ﷺ أنّه (**لَمْ يَعِبْ**) أي لَم يَذُمَّ (**قَطُّ**) أي أبدًا (**طَعَامًا**) حَلالًا مِمّا كانَ (**يَحْضُرُهُ**) بل كانَ شأنُهُ ﷺ أنَّهُ إذا حَضَرهُ طَعامٌ (**يَأْكُلُهُ إِنْ يَشْتَهِيـ**)ـه أي كانَتْ تَقبَلُهُ نَفسُهُ (**أَوْ**) أي وإلّا فإنّه (**يَذَرُهُ**) فلا يأكُل مِنهُ إنْ كَرِهَهُ وذلكَ مِن غَيرِ أنْ يَعِيبَهُ، كالضَّبِّ فإنّه ﷺ لَم يُحَرِّمْه ولا عابَهُ ولكِن لم يأْكُلْه.

(**وَ**)إذا جلسَ ﷺ ليأكُلَ فإنّه (**لَمْ يَكُنْ جُلُوسُهُ مُتَّكِيا**) أي مُتّكِئًا مُعتَمِدًا على أحَدِ شِقَّيهِ أو على شيءٍ يَطؤُه تَحتَهُ (**فِي حَالَةِ الأَكْلِ**) بل ذلك غالِبًا ما يكونُ عادةَ الشَّرِهِ النَّهِمِ، (**وَلَكِنْ**) كان ﷺ يَجلِسُ حالَ الأكلِ (**مُقْعِيًا**) أي جالِسًا على أَلْيَتَيْهِ ناصِبًا ساقَيه مُستَوفِزًا غيرَ مُتَمَكِّنٍ، ويضَعُ بطنَ قدَمِه اليُسرَى على ظَهرِ قدَمِه اليُمنى، وهذه الهيئةُ أنفَعُ هَيئاتِ الأكلِ وأفضَلُها.

وكان ﷺ (**تُعْجِبُهُ الذِّرَاعُ**) أي يُعجِبُه طَعمُها لاستِطابَتِها له ولأنّها أخفُّ على المَعِدةِ وأسرَعُ مِن غيرِها هَضْمًا، ولَم يَكُن ﷺ يَتتبَّعُ اللَّحمَ ولا غَيرَه أو يَعتادُ أكلَهُما تنعُّمًا، فهو ﷺ أزهَدُ النّاسِ وأبعَدُ النّاسِ عَن التّنعُّمِ.

أكلُه ﷺ الدُّبّاءَ والعسَلَ والحَلْواءَ والبِطّيخَ والقِثّاءَ والرُّطَبَ

(**وَ**)كان ﷺ يُعجِبُه (**الدُّبَّاءُ**) وهو اليَقطينُ، وقيل: القَرعُ المعروفُ بالحِجازِ، فكان ﷺ يَستحسِنُه ويُحِبُّ تَناوُلَه لِمَنافعِهِ.

(**وَ**)كذلكَ (**العَسَلُ**) وهو (**الْمَحْبُوبُ**) للنّاسِ عامّةً كان يُعجِبُهُ ﷺ الممزوجُ منهُ بالماء، كما ذهَب إليه جمهورُ الشُّراح، ويَشربُه ﷺ مِن ساعتِه.

(**وَ**)كذلكَ (**الحَلْوَاءُ**)[1] كان يُعجِبُهُ، وهو اسمٌ لطعامٍ عُولِج بِحَلاوةٍ كعَسلٍ وسُكَّرٍ ونَحوِهما، قاله الأزهريُّ، وذهب النَّوَويُّ إلى أنّه كلُّ حُلوٍ وإنْ لم تَدخُلْه صَنعةٌ، فقد يُطلق على الفاكِهة. والحَلواء محبوبةٌ عند النّاسِ عامّةً لمُلاءَمَتِها للنَّفْس والبَدَن.

(**وَ**)كان ﷺ (**يَأْكُلُ البِطِّيخَ**) بِالرُّطَبِ أي معَهُ أحيانًا (**وَالقِثَّاءَ**) بِكَسرِ القاف على المشهورِ ويُضَمُّ (**بِرُطَبٍ**) أحيانًا أُخرَى، وكان ﷺ (**يَبْغِي بِهِ**) أي الجَمْع بينَهُما إذا تناوَلَهُما (**الدَّوَاءَ**) أي الانتِفاعَ بهِ للبَدَنِ وذلك بالجمعِ بينَ الحارِّ والبارِدِ، وكان (**يَقُولُ يُطْفِيْ**) وفي روايةٍ: «**يَكْسِرُ**» (**بَرْدُ**) هـ(**ـذَيْنِ**) البِطّيخ والقِثّاء (**حَرَّ**) هـ(**ذَا**) أي الرُّطَبِ.

---

(1) بفتح الحاء ويُقصَر.

ففِي بعضِ ما سبَقَ إرشاداتٌ نبويّةٌ شريفةٌ للعبادِ، (**وَكُلٌّ إِرْشَادٍ**) أرشدَ إليه ﷺ بقولِهِ أو فِعلِهِ (**فَعَنْهُ**) بِلا تردُّدٍ (**أُخِذَا**) أي خُذْهُ واعمَلْ به، كيف لا، وقد أعطى اللهُ تعالَى نَبيَّه ﷺ عِلمَ الأوّلِينَ والآخِرِينَ[1].

صِفةُ أكلِه ﷺ

وكان ﷺ (**يَأْكُلُ بِالأَصَابِعِ الثَّلَاثَةِ**) الإبهامِ والسَّبّابةِ والوُسطَى مِن يَدِهِ اليُمنَى الشّريفةِ، وفي اقتِصارِه ﷺ على الأكلِ بالثّلاثِ أدبٌ جمِيلٌ مُشعِرٌ بعدَمِ الشَّرَهِ في الطعَّامِ والاقتِصارِ على ما يُحتاج إليه تقليلًا مِن غيرِ تكثيرٍ وهذا فيما يَتأتَّى فيه ذلك مِن الأطعِمة.

(**يَلْعَقُهَا**) أي يَلحَسُ الأصابِعَ الثّلاثةَ بفمِهِ الشّريفِ (**لِقَصْدِ**) تحصيلِ (**ذِيْ**) أي هذهِ (**البَرَكَةِ**) الحاصلةِ في أثرِ الطّعامِ.

وكان ﷺ إذا أرادَ الأكلَ أو الشُّربَ (**يَبْدَأُ**) متبرّكًا (**بِاسْمِ اللهِ**) أي بذِكرِ اسمِ اللهِ تعالَى، (**ثُمَّ**) كانَ ﷺ (**يَخْتِمُ بِالحَمْدِ**) للهِ (**فِي شُرْبٍ**) يَشرَبُهُ (**وَأَكْلٍ يَطْعَمُـ**)ـهُ أي عقِبَهُما.

صِفةُ شُربِه ﷺ

وكانَ ﷺ (**يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةٍ**) مِنَ المَرّاتِ ويتنفَّسُ (**أَنْفَاسًا**) ثلاثةً عَقِبَ كُلِّ شَربةٍ بإبانةِ الإناءِ عَن فَمِهِ، ويَحمَدُ اللهَ تعالى في كُلِّ نَفَسٍ ويَشكُرُهُ في ءاخِرِه، كذلكَ رواهُ ابنُ السُّنِّيِّ.

وكان ﷺ (**يَمَصُّ**) الماءَ مَصًّا أي على مُهلةٍ شُربًا رَقيقًا لا عَبًّا والعَبُّ الشُّربُ تتابُعًا مِن

---

(1) لا يجوزُ اعتقادُ أنّ النبيّ ﷺ يَعلَمُ كُلَّ ما يَعلَمُه اللهُ، بل مَن قال ذلك أو اعتقدَه فقد جعَل النبيّ ﷺ شريكًا للهِ في العِلمِ، وذلك كُفرٌ باتّفاقِ المُسلِمين.

غيرِ تنفّس[1]، (**فَهْوَ**) أي الشُّربُ على هذهِ الصِّفةِ (**أَهْنَأُ**) أي أَروَى لآخِذِه (**اخْتِلَاسًا**) أي على جُرعاتٍ قليلةِ الكَمِّ.

ثُمّ إنّه ﷺ معَ كَونِه يتنفَّسُ بينَ الشّرباتِ لكن (**لَمْ يَتَنَفَّسْ فِي**) شُربِه مِن (**الإِنَا**)ءِ أي داخِلَهُ (**إِذْ يَشْرَبُ**) مِنهُ بلْ (**يُبِيْنُهُ**) أي يُبعِدُهُ (**عَنْ فِيهِ**) أي فَمِه الشّريفِ (**فَهوَ**) أي عِلّة ذلكَ أنّه (**أَطْيَبُ**) وأحسَنُ في الشُّربِ.

وكان ﷺ (**يَشْرَبُ**) الشّرابَ ماءً أو غيرَه (**قَاعِدًا**) في أكثرِ أحوالِهِ (**وَ**)يَشربُ (**مِنْ قِيَامٍ لِـ**)ـأمرٍ (**عَارِضٍ كَـ**)ـشُربِه مِن بئرِ (**زَمْزَمَ**) المَنسوبِ إلى المَسجِدِ (**الحَرَامِ**) لكَونِهِ موجودًا فيه.

(**وَ**)مِمّا أُثِرَ عنه ﷺ مِن فِعلِه (**شُرْبُهُ**) الماءَ (**مِن**) فَمِ (**قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ**) وهو قائِمٌ، والقِربةُ ظَرفٌ مِن جِلدٍ يُخرَزُ مِن جانِبٍ واحدٍ يُستَقَى بِهِ الماءُ واللَّبَنُ ونَحوُهُما مِمّا حُفِظَ فِيها، وقد (**دَلَّ بِهِ**) أي بشُربِهِ ﷺ (**لِلرُّخْصَةِ**) أي على جوازِ شُربِ الماءِ قِيامًا، وهذه الرُّخصةُ (**الْمُحَقَّقَةُ**) أي الثّابتةُ في حَدِيثٍ حَسَنٍ صَحِيحٍ كما قال الترمذيُّ.

وكان ﷺ إذا شَرِبَ شرابًا لبنًا أو غيرَهُ وحولَهُ مِن أصحابِهِ (**يُنَاوِلُ**) مِن سُؤرِهِ أي ما بَقِي مِن مَشروبِه (**الأَيْمَنَ**) مِن صَحابَتِه أي مَن كان مِنهُم على يَمِينِه (**قَبْلَ**) الّذي هو على الجانِبِ (**الأَيْسَرِ**) مِنهُ.

ولمَ يَكُن ﷺ يُقَدِّمُ الأيسَرَ على الأيمنِ (**إِلَّا بِإِذْنِهِ**) أي القاعدِ على يَمِينِهِ تطييبًا لخاطِرِه لا وُجوبًا عليهِ، وإنّما كان يُقَدِّمُ (**لِـ**)ـمصلحةٍ يَراها كمُراعاة (**حَقِّ الأَكْبَرِ**) سِنًّا.

---

(1) اللامع الصَّبِيح، شمس الدّين البرماوي، (225/14).

اختِيارُه ﷺ الحُلوَ البارِدَ واللَّبَنَ مِن الشَّرابِ

(**وَ**)كان ﷺ يُعجِبُهُ (**البَارِدُ الحُلْوُ**) مِنَ الشّرابِ و(**يُحِبُّ شُربَهُ**) لِمَا فيهِ مِنَ المنافِعِ للبَدَنِ، فكان ﷺ يَشربُ اللَّبنَ بالماءِ البارِدِ والماءَ بالعسَل.

(**وَ**)كان ﷺ يُحِبُّ (**اللَّبَنَ**) و(**اسْتَزادَ**) أي طلَبَ مِن اللهِ الازديادَ مِنهُ (**إذِ**) استزادَ لأنَّهُ (**أَحَبَّهُ**) فكان (**يَقُولُ**) في دعائِهِ ﷺ: اللَّهُمَّ (**زِدْنَا مِنْهُ**) لأنّه أرادَ بوجودِ الأكثرِ مِنهُ عِظَمَ النّفع لَهُ ولأمّتِهِ، وهذا يُحمَلُ على الإكثار من شكرِ الله تعالَى حيث رَزقَهُم شيئًا ينفَعُهم نَفْعًا عظيمًا كما أكَّده الرسولُ ﷺ، (**فَـ**)ـاللَّبَنُ (**هُوَ يُجْزِيْ**) أي يَكفِي ويُغنِي في ءانٍ واحِدٍ (**عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ الْمُجْزِيْ**) كُلٌّ مِنهُما للبَدَن.

تمَّ ما تَيسَّر اختِصارُه في المُنتقَى في ذِكرِ بعضِ أوصافِ وشَمائل المصطفى ﷺ

والحمدُ لله ربّ العالَمِين

وصلَّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى ءالِه وصحبِه الطيّبين الطاهرين